Maalim
e-ISSN: 2600-6944 | p-ISSN: 2170-0052
Volume 16 Issue 2/ Décembre 2023 PP. 105-117

Article translation: Ibrahim Jadla: The Fatimids and the Kutāma: a strategic alliance or a necessary evil?[1]

Hocine Boubidi *
University of Constantine 2 Abdelhamid Mehri, Algeria.
hocine.boubidi@univ-constantine2.dz

DOI:10.33705/1111-016-002-010

Received: 06/05/2023
Accepted: 29/11/2023
Published: 30/12/2023
***Corresponding Author**

Citation :
Boubidi,H. (2023).
Article translation: Ibrahim Jadla: The Fatimids and the Kutāma:
a strategic alliance or a necessary evil?
Maalim
I(2), 105-117

Abstract:

Originally, the Kutāma were a Berbère tribal community living in central Maghreb. During the first two centuries of Islamic presence in the region, they were on the margins of major political and religious opposition movements such as Kharijism. This situation facilitated their encounter with Shi'ism, leading to an irresistible march eastward of this powerful confederation. Since then, this community has undergone several transformations related to its mobility: from mountain to plain, from interior to coast, from opposition to power. All of this was accompanied by a permanent remodelling that transformed the Kutāma from a tribal community to an ethnic community occupying an imposing hara in Cairo and forming the social basis of the current Fatimid regime and its military strike force.

Keywords: Kutãma, Ismailism, al-Qadi al-Nu'man, Fatimid state, Jijel, Mila, Sétif.

Maalim
© 2023 The Author(s).
Published by the High council of the Arabic language.
This is an open access article under the CC BY license

ترجمة مقال: إبراهيم جدلة: الفاطميون وكتامة: تحالف استراتيجي أم شرّ لابدّ منه؟

د. حسين بوبيدي

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، الجزائر.

الملخّص:

كانت كتامة تمثل في الأصل مجتمعا قبليا من البربر يعيش في المغرب الأوسط، وقد كانوا في القرنين الأولين من الوجود الإسلامي بالمنطقة على هامش الحركات الرئيسية للمعارضة السياسية والدينية؛ مثل الخوارج. وأمام هذه الوضعية سهل تواصلهم مع الشيعة، مما أدّى إلى تدشين مسيرة مظفرة لهذا التحالف القوي نحو الشرق. منذ ذلك الحين؛ تعرض هذا المجتمع للعديد من التحولات المتعلقة بحركيته: تحوّل من الجبل إلى السهل، من الداخل إلى الساحل، من المعارضة إلى السلطة... وكل هذا رافقه إعادة تشكيل مستمر حوّل كتامة من مجتمع قبليّ إلى مجتمع عرقيّ يحتل حارة هامّة في القاهرة، ويشكّل أساس القاعدة الاجتماعية للحكم الفاطمي وقوته العسكرية.

الكلمات مفتاحية: الإسماعيلية، القاضي النعمان، الدولة الفاطمية، جيجل، ميلة، سطيف.

1. المقدّمة:

تمثّل كتامة اتحادا قبليا يستوطن المغرب الأوسط؛ مَوْضَعَهم ابن خلدون: "بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا، إلى جبل أوراس (...) وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم (...) مثل: إيكجان وسطيف وباغاية، ونقاوس وبلزمة وتيجيس وميلة وقسنطينة وسكيكدة والقلّ وجيجل"[2]، أما عن أصولها فلا تزال غامضة، والسّردية المقترحة من طرف ابن خلدون متأخرة عن فترة اندفاعهم خارج مجالاتهم بأكثر من أربعة قرون، ولذلك يجب الاعتماد على المصادر الفاطمية القريبة، أو المعاصرة للفترة المدروسة: (ق: 3-4هـ/9-10م). وسنلاحظ غياب الصلة النسبية بين هذه القبائل في هذه المصادر؛ مما يثبت واقعيا أن الصلات المزعومة لا تعدو مجرد سرديات متأخرة ومختلفة.

يقترح القاضي النعمان في كتابه: افتتاح الدعوة؛ الذي كتب حوالي 346هـ/958م قائمة بأسماء تبدو مضطربة، ولكنها تصف ما كان موجودا في تلك الفترة، وتتمثل القبائل المنضوية تحت اسم: كتامة حسبه في: مسالتة، مزاتة، جيملة، أجانة، ملوسة، لهيصة، لطاية، متوسة، سكتان، دنهاجة، غشمان (لها فرعان؛ الأول بتازروت، والثاني بسجا)، عجيسة، وزواوة، وإلى غاية القرن 3هـ/9م؛ كان الخوارج قد فشلوا في كسب القبائل الكتامية إلى صفهم؛ على الرغم من وجودها في أطراف السلطة الأغلبية بإفريقية، وهو ما يفسّر بعض الاستقلاليّة التي كانت تعيشها تجاه سلطة القيروان. لقد حدثت اللقاءات الكتامية مع دعاة الشيعة - وبالتالي مع مشروع الدولة الفاطمية - ضمن هذا السياق؛ وهنا ينبغي أن نطرح سؤالا: هل كان الاتفاق مع مشروع الدولة الفاطمية بسيطا ومفاجئا كما هو الاعتقاد السائد؟ وما هي المراحل الرئيسية والوقائع الأكثر

تأثيرا لهذا الاتفاق؟ وكيف انخرط هذا الاتحاد القبلي بمجموعه في الولاء للمشروع الشيعي الإسماعيلي؟ وكيف تم توطيد علاقتهم بالسلطة الفاطمية؟ وفي الأخير: لماذا فشلت كتامة في الوصول إلى السلطة في إفريقية الأغلبية عندما غادرها الفاطميون نحو مصر؟

إن أهم المصادر الموثوقة والقريبة إلى هذه الحوادث هي المصادر الفاطمية، وبالخصوص :

افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت:363هـ/974م): كتب حوالي 346هـ/958م، ويعدّ مؤلفه أهم فقهاء الشيعة الإسماعيلية للدولة الفاطمية بإفريقية، ويعدّ هذا الكتاب شهادة أساسية حول قيام الدولة الفاطمية.

المجالس والمسايرات للمؤلف نفسه: وهو نوع من اليوميات التي سجل فيها القاضي النعمان مضامين المجالس والمحادثات التي جمعته بالخليفة الفاطمي المعز (341-365هـ/953-977م)، ومع أن المؤلف يروي شهادات معاصرة، إلا أنه يتجاوز ذلك؛ ويعود أيضا إلى بداية السلالة الفاطمية وتاريخ الخلفاء الأوائل، ما يجعل الكتاب ذو أهمية مزدوجة.

عيون الأخبار للداعي اليمني عماد الدين القرشي (ت:872هـ/1468م): وهو مصدر متأخر، لكنه استخدم كل الحوليات الفاطمية؛ بما فيها تلك التي لم تصلنا، مثل: السيرة الكتامية التي ألفها: حيدرة بن محمد بن إبراهيم.

إن بقية المصادر الأخرى (الكامل لابن الأثير، البيان المغرب لابن عذاري، كتاب العبر لابن خلدون... إلخ) هي نصوص متأخرة من جهة، ومختصرة من جهة أخرى، بما يجعلها لا تقدم أي إضافة جديدة لما أوردته المصادر الفاطمية.

2. صعوبة إخضاع كتامة:

تم تصوير نجاح المذهب الشيعي في ضمّ كتامة على أنه قد تم بطريقة سهلة، وذلك بعد وصول اثنين من الدعاة الشيعة إلى المغرب الأوسط في منتصف القرن 2هـ/8م[3]، وبالتأكيد بعد اللقاء - الذي نتج عن ترتيب مسبق أو بصدفة عجيبة - بين الداعي أبو عبد الله الصنعاني والحجيج الكتاميون: موسى بن حريث رئيس بني سكتان (فرع من قبيلة جيملة)، مسعود بن عيسى بن ملال من قبيلة مسالتة، موسى بن تكاد، وأبو القاسم الورفجومي، من كنفدرالية كتامة[4].

من المؤكد أن قبائل كتامة كانت شديدة التمسك بالإسلام في هذه الفترة، وهو ما تدل عليه أسماء الأشخاص الواردة في المصادر[5]، ولكن من الصعب قبول نص ابن خلدون في تقييم نجاح الداعي الصنعاني بالقول: "اتبعه أكثر كتامة، وكانوا يسمّونه بأبي عبد الله الشيعيّ والمشرقيّ"[6]؛ إذ الحقيقة أن الأمر لم يكن بهذه البساطة؛ حيث احتاج هذا الداعي الجريء وقتا طويلا (عقدا كاملا) من الجهد والإصرار للقضاء على مقاومة أغلبية كتامية معارضة حاولت منذ البداية التصدي لمشروعه[7].

حسب رواية القاضي النعمان؛ قام أبو عبد الله الداعي عند وصوله إلى المنطقة باختراع حديث نسبه للنبي ﷺ يقول فيه: "إن للمهديّ هجرة تنبو عن الأوطان، في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان"[8]، ويروم هذا الحديث المختلق إلى تشبيه هجرة المهدي بهجرة النبي ﷺ، وتوصيف الكتاميين بالأخيار وأنصار المهدي وحماته تذكير بالأنصار في المدينة المنورة.

إن أقدم نص يؤرخ لهذه الحوادث هو كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، ومع أنه نص فاطمي؛ إلا أنه لم يستطع إخفاء الصعوبات التي تعرض لها أبو عبد الله الداعي في بداية نشاطه، فقد كانت المعارضة لمشروعه قوية جدّا مما حتّم عليه التصرف بحذر، وقد رأى بعض الناس أن سرية نشاطه الدعوي تتعارض مع دين الإسلام، إذ لو كان ما يدعو إليه خيرا فلم يكن ليلجأ إلى إخفائه[9].

تبدأ هذه الحوادث باستقرار أبي عبد الله الداعي في إيكجان عند بني سكتان، وكان في مواجهته كل القبائل الكتامية الأخرى؛ يتعلق الأمر بقبائل: مسالتة، لهيصة، أجانة، لطاية، ومتوسة[10]، وقد فسر القاضي النعمان هذه التحالفات المناهضة للداعي الشيعي بخشية زعماء القبائل من فقدان سلطتهم[11]؛ ويدل هذا التوصيف على تشكل فصيلين متصارعين في بلاد كتامة؛ يمثل المؤمنون بهذه الدعوة الطرف الأول[12]، ويسمّون: "الأولياء"[13]، بينما تمثل "الجماعة" الطرف المعادي لها[14]، وهذا الوضع هو ما ندركه من خلال النصوص المصدرية التي تلفت الانتباه إلى هذا الصراع في وقت كان الجميع قد تم ضمهم للمشروع الفاطمي.

لقد كانت القوتان المتصارعتان غير متكافئتين، وهو ما أجبر أبا عبد الله الداعي على العيش في سريّة، فلم يكن غير "المؤمنين" على معرفة بمخبئه[15]، بل وأُجْبِرَ لاحقا على مغادرة مستقره في إيكجان والانتقال إلى تازروت، وهي قلعة حصينة لا يمكن لأعدائه أن يطالوه فيها بعد أن تحالف مع غشمان الذين كان زعيمهم الحسن بن هارون من أوائل أنصاره، وكانت هذه الخطوة بداية حرب استنزاف طويلة، وقد كان غشمان تازروت حماة الداعي بمفردهم في بداية الأمر قبل أن تنضم لهم لهيصة، وفي مقابلهم كل القبائل الكتامية التي تمثل الجماعة؛ ويتعلق الأمر بـ: مزاتة، ملوسة، مسالتة، أجانة، لطاية، جيملة، دنهاجة، غشمان سجا (فرع آخر من غشمان)، عجيسة، زواوة ومجرس[16].

حسب النصوص المصدرية، فإن "الأولياء" كانوا قادرين على تجنيد 700 فارس و2000 جندي[17]، بينما كان "الجماعة" لا يقلّون عن 100000 رجل، ومن الواضح أن أبا عبد الله الداعي قبل مهاجمة الأغالبة كان عليه أن يخوض العديد من المعارك الدامية والصعبة ضد هذه "الجماعة"، وقد استمرت هذه الحرب المضنية لمدة عامين، حقق فيها الداعي وأنصاره انتصارات متلاحقة ضد خصومهم، الذين اضطروا بسبب التقتيل الذي طالهم والنهب الذي تعرضت له أموالهم إلى الانضمام لدعوة الداعي "وأسلموا لأمره طائعين، ومكرهين، وراغبين وخائفين"، وبالتالي فقد التحق الجميع بالدعوة "واستولت أمور أبي عبد الله على عامة بلد كتامة، وظهرت دعاته في كل ناحية منها، وغلب أمره عليها، واستحكم فيها، ولم يبق فيها إلا من دخل دعوته إما راغبا وإما راهبا أو مخذولا"[18].

من أجل إخضاع الجميع لسلطته نهائيا، فرض أبو عبد الله الداعي على كتامة نظاما عسكريا صارما؛ وقد كان شديد القسوة معهم في البداية، وأسّس لنظام من الرعب يقوم على الاستحضار الدائم للسيف والخوف، فإذا أراد قتل أحدهم كلّف أحد أقربائه بذلك، وكان يتم تنفيذ طلبه كدليل على الطاعة[19]، ثم قسّم كتامة إلى سبع فصائل (أسباع)، حيث شكل كل فصيل عسكرا يعيّن عليه "مقدّما" يقوده، وكان هؤلاء القادة العسكريون إلى جانب "الدعاة" الإسماعيلية و"المشايخ" هم المسؤولون عن إدارة شؤون الجماعة، وخاصة ما تعلق بجمع الضرائب وحفظ الغنائم إلى غاية قدوم المهدي فيستلمها[20].

3. الهجرة نحو الشرق:

بمجردّ أن تولىّ الفاطميّون الحكم في إفريقية؛ استقرّ جزء كبير من كتامة في القيروان برفقة المهدي، وتم توزيع منازل رقادة -المدينة الأميرية-عليهم[21]، لتبدأ بعد ذلك صراعات لتقاسم السلطة، وهي سلطة -وفق العقائد الإسماعيلية- مقدسة لا يمكن تقاسمها أو الشك فيها، وكانت هذه أولى الاضطرابات والانشقاقات والصراعات التي تعرضت لها الدولة الفاطمية في بداية تشكلها؛ إذ لم تكن قاعدتها القبلية الخاضعة والمرتبكة مخلصة للدعوة، ويمكن هنا استحضار بعض نصوص القاضي النعمان الذي كتب مؤكدا أن بعض كتامة انضموا إلى الدعوة نفاقا[22]، ويلاحظ أنه بمجرد تولي المهدي على رأس السلطة الجديدة - التي تم الاستيلاء عليها بفضل جهود أبو عبد الله الداعي وسيوف كتامة - وقعت المؤامرة من قبل أولئك الذين تصفهم المصادر بـ: "المنافقين" (نتذكر هنا أنه بالمدينة المنورة كان المنافقون يستهدفون الرسول ﷺ).

لم يرغب صانعو الانتصار الشيعي؛ أبو عبد الله الداعي وأخوه أبو العباس في التخلي عن سيطرتهم على كتامة التي بدت حينئذ كمصدر للقوة، وقد طلب الداعي من المهدي البقاء في قصره تجنبا لفقدان هيبته، ومنحه قيادة كتامة لمعرفته الجيدة بها[23]، وبلغ الأمر بشيوخ كتامة حدّ الشك في صحّة إمامة المهدي[24]، وقد كانت ردة فعل هذا الأخير عنيفة؛ حيث قتل الداعي وأتباعه سنة: 298هـ/911م، وقام جزء من كتامة بمحاولة تمرد فاشلة؛ حيث نصبوا عليهم طفلا صغيرا كإمام مناوئ للمهدي[25]، وتم قمع الثورة بالعنف الدموي، لأجل أن تكون هذه المحاولة الأولى والأخيرة للتمرد الكتامي على السلطة الفاطمية.

أدت هذه الأحداث المبكرة إلى قمع الحرس الكتامي القديم وظهور جيل جديد سيفرض نفسه بشكل نهائي باعتباره الحلقة الأولى للحكم الفاطمي، وقريبا جدا سنرى جيملة وأجانة وملوسة ولهيصة يقاتلون إلى جانب القائم في مصر سنة: 313هـ/925م.

إن الأمر يتعلق - بكل تأكيد - بتجديد للجيل؛ ولكنه أيضا إعادة بناء للتحالفات القبلية وضبط المواقع القيادية؛ حيث سيتشكل نظام جديد يفقد فيه الأنصار الأوائل مثل غشمان وبنو سكتان مركزهم القوي، والذين يبدو أنهم قد تعرضوا لتآكل كبير بسبب دورهم الفعّال في حروب إقامة الدولة، ومهما يكن أثر ذلك كبيرا؛ فمن المؤكد أيضا أن الكثير من الحرس القديم قد صفّي بسبب تواطؤهم مع الداعي[26].

لقد نتج عن هذه الحوادث نقل جزء كبير من كتامة شرقا في حركة هجرة؛ ويمكننا تمييز ثلاث مجموعات من المهاجرين؛ تضمّ **المجموعة الأولى** بشكل أساسي أولئك الذين انخرطوا كليا في المشروع الفاطمي، والذين يمثلون العمود الفقري في الدفاع عن الدولة الفتية، وهذه المجموعة تتكون من المتطوعين الذين غادروا مناطقهم بإرادتهم الخاصة، أما **المجموعة الثانية** فقد تم جرّها تحت تأثير الحركة الأولى، حيث ستتولى سدّ الفراغ الناتج وتعويضه من جهة، وبحثا عن المكاسب المادية والسلطوية والمكانة الاجتماعية من جهة أخرى، أما **المجموعة الثالثة** فقد كانت مجبرة على مغادرة ديارها بأمر من السلطة المركزية لتعمير عاصمتها الجديدة (نوع من التهجير في مصلحة الدولة)، وبالأخص أثناء وبعد ثورة أبي يزيد النكاري (323-336هـ/934-947م)؛ ففي سياق الأزمة العميقة التي عاشتها الدولة الفاطمية بسبب هذه الثورة؛ أرسل الخليفة المنصور سنة 334هـ/945م -وهو لا يزال محاصرا في عاصمته- رسالة عاجلة إلى كتامة ينتقد فيها بشدة تقاعسهم وبطئ استجابتهم لرسله ورسائله السابقة، وفي هذا الخطاب المعاتب واللائم ينتقد المنصور قبائل كتامة لتخلّيهم عن الجهاد بسبب حرصهم على متاع الدنيا[27]، ولم يتأخر الكتاميون في الاستجابة لهذا النداء، ومباشرة بعد الانتصار على أبي يزيد سنة: 336هـ/947م فرض المنصور على 14000 عائلة كتامية (لا يقل عددهم عن 70000 فرد) الالتحاق به في عاصمته الجديدة: المنصورية[28]؛ وهذا الرقم يبرز بجلاء أن تعداد الذين انخرطوا في هذه الهجرة من بلاد كتامة باتجاه الشرق كان كبيرا، وأنه لا يقل عن بضع مئات آلاف، وبالتالي يمكن اعتبار الرقم الذي قدمته المصادر لتعداد رجال كتامة (الفرسان والجنود) في معركة الأربس[29]؛ والبالغ: 200000 لم يكن مبالغا فيه.

بعد نهاية الحرب ضد أبي يزيد، ظهر في المغرب الأوسط (لاعبون) جدد؛ ويتعلق الأمر بالزيريين الذين كان لهم دور كبير في انتصار الفاطميين على أبي يزيد[30]، ومنذ ذلك الحين سيتم نزع المغرب الأوسط من سادته القدماء ومنحه للزيريين الصنهاجيين، الذين لم يكن لهم أي صلة بالمذهب الشيعي، وكانوا مجرد حلفاء عاديين للحكم الفاطمي. ومنذ ذلك الحين سيشكلون حاجزا وخط دفاع أول ضد قبائل زناتة[31].

إن هذه الوضعية الجديدة لم تؤثر على الكتاميين؛ لأنهم كانوا على وشك أن يصبحوا جزءً لا يتجزء من الدولة الفاطمية، وليس فقط العمود الفقري لقيام الحكم الفاطمي، ففي سنة: 364هـ/974م خصّهم المنصور بخطاب بمناسبة عيد الأضحى قائلا: "يا أهل دعوتنا، يا أنصار دولتنا، يا كتامة، احمدوا الله واشكروه على ما خصكم به من نعمته وجسيم منته، وفضلكم به على كافة الخلق في غرب وشرق"[32].

لقد كان لكتامة مشاركة مهمة في السلطة بعد أن تم ضمان ولائها بشكل كامل ونهائي للدعوة، ويدل على ذلك وصف الخليفة المعز للكتاميين أنهم: "أوليائنا وخالصتنا، هؤلاء حزبنا وزمرتنا، هؤلاء أتباعنا وعمدتنا، هؤلاء خاصتنا وأهل مودتنا، هؤلاء الذين يكونون في الجنة معنا كما كانوا معنا في الدنيا"[33]، وقد تم تأكيد هذه المشاركة عندما قامت كتامة بتجنيد ما لا يقل عن: 80000[34] فارس لغزو مصر، ثم غزو الشام، حيث ستنتهي رحلتهم نحو الشرق.

4. من الانتماء البربري إلى الانتماء العربي:

تغير اتجاه حركة الغزو للمرة الأولى في تاريخ الإسلام في سياق التحالف الفاطمي الكتامي؛ فلم يعد يتجه من الشرق إلى الغرب، بل انعكس الأمر ليتجه من الغرب إلى الشرق، ومع أن التأطير السياسي لهذه الحركة بقي عربيا كما هو الأمر في السابق، إلا أن الأداة الرئيسية لهذه الغزوات كانت مكونة أساسا من البربر.

إن الذي ينبغي لفت الانتباه إليه هو أن بربرية كتامة كانت في طريقها إلى التغير إلى حدّ الأفول، ونلحظ في هذا السياق أن عدة مصادر تفرق بشكل متعمد بين كتامة والبربر[35]، وقد كان الخلفاء الفاطميون - ربما لأسباب سياسية - هم الذين اختلقوا من لا شيء هذه الجذور العربية المزعومة لكتامة، وكان القائم يسميهم "أبناء المهاجرين والأنصار"[36]، وعمل المُعِزُّ على ترسيخ هذه السّردية عند الكتاميين وتفسيرها لهم؛ فأخبرهم أنهم أحفاد جالوت الذين تم طردهم من الشرق منذ فترة طويلة من قبل النبي داوود، وبينما كان أجدادهم قد طردوا بسبب أخطائهم وسيئاتهم، فإن كتامة سيعودون إلى الشرق بفضل تقواهم وولائهم ودفاعهم عن الحق[37]؛ المتمثل في استعادة الفاطميين ذرية النبي للخلافة باعتبارهم أصحابها الشرعيين.

بالتزامن مع هذه الرغبة السياسية في ربط كتامة بالسلالة الملكية عن طريق البحث عن أصول مشتركة، ويتعلق الأمر هنا بالأصل العربي المهيمن سياسيا؛ نلحظ وجود عملية تعريب حقيقية لكتامة شمل تأثيرها كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية؛ ومن ذلك أن إتقان اللغة العربية بكتامة بلغ للحدّ الذي أوجد شعراء منهم بالقصر؛ مثل: مقداد بن حسن الكتامي، والذي ألّف قصيدة طويلة بعد فتح مصر، واحتفى بمشاركة 80000 فارس كتامي في حملة الشام، وأنشد بهذه المناسبة:

فلا تكذبن لست الغداة بواجد ❁❁❁ بأنصر من قومي رجالا وأصبرا [38]

نلحظ أن كتامة قد أصبحت تصور في المصادر الشيعية أكثر من مجرد عرب، بل اعتُبِروا: "حزب الله"، وأعداؤهم: "حزب الشيطان"[39]، وفي هذا السياق تم اختراع أصل حميري (من اليمن) لقبيلة كتامة، وتتضمن النصوص التي وصلتنا -والتي تعدّ من أقدم حوليات تاريخ المغرب-إشارات مستفيضة في الإشارة إلى هذه الأساطير المؤسسة، وقد قال الشاعر مقداد بن حسن الكتامي عند إشادته بحملة جعفر بن فلاح على الشام سنة: 359هـ/969م:

ونحن جلبنا الخيل شعثا ضوامرا ❁❁❁ من الغرب تجتاز المفاوز أشهرا
عليها الكتاميـّـــون من الأحمير ❁❁❁ ومن لفَّ لفَّ الجيش من البربرا [40]

ويندرج ضمن هذا المعنى أيضا مثال آخر؛ يتعلق بالإخباري: حيدرة بن محمد بن إبراهيم الذي عنون سيرته: "السيرة الكتامية الحميرية"[41]؛ والتي ترسخ هذه الأسطورة.

لقد انتهت كتامة إلى تشكيل هوية جديدة، ضمن سيرورة تميزت بتغير مجالي (من جبال المغرب الأوسط إلى النيل بالقاهرة)، وتغير ثقافي من الانتماء البربري إلى الانتماء العربي، وهكذا بعد أن كانوا مجتمعا قبليا

قويا؛ تحولوا عن طريق إرادة سلطوية إلى مجتمع عرقي يعيش في إحدى حارات القاهرة تحمل اسمهم: حارة الكتاميين[42].

5. الخاتمة:

كانت كتامة بداية خزانا للطاقة العسكرية وقوة ضاربة ولكنها نائمة، ومهمشة من طرف الحركات السياسية والدينية في القرنين: 2-3هـ/8-9م، ثم فجأة في نهاية القرن 3هـ/9م استطاعت إحدى الحركات السياسية الدينية الناشئة في الشرق أن تقحم هذه القبيلة بالحيلة والقوة في مغامرة استفاد فيها الطرفان من بعضهما البعض.

لقد سعت كتامة منذ البداية للسلطة؛ دون أن تمتلك حافزا إيديولوجيا، وهو ما توفر لها مع الدعوة الإسماعيلية، وتدريجيا ستتقاطع المصالح وتتشابك المصائر، حيث لم يعد كل منهما قادرا على الاستغناء عن الآخر، فالفاطميون في حاجة ملحّة إلى حلفاء ومؤيدين لا يشترطون شروطا مقابل دعمهم، وبينما كانوا مضطرين لمغادرة إفريقية إلى مصر كان عليهم الاختيار بين المغادرة نحو الشرق دون كتامة، أو ترك إفريقية في أيدي قوة جديدة (الزيريون الصنهاجيون)، فاختاروا البديل الثاني الذي لم يكن متوقعا، وقد نتج عن هذا القرار نتائج كثيرة، حيث غادر الغرب (البربر) باتجاه الشرق (العرب) للمرة الأولى في تاريخ الإسلام، واستقرت لأول مرة سلطة من البربر (الزيريون) في إفريقية.

6. الملاحق:

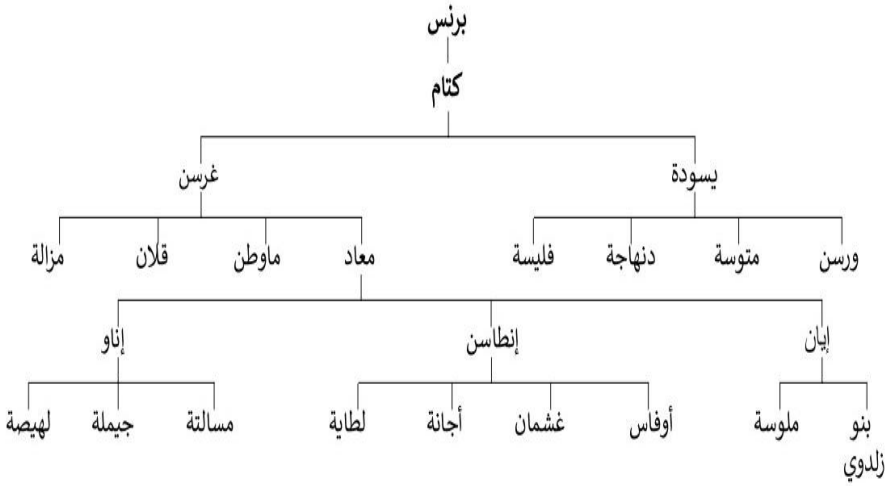

الملحق 1: فروع كتامة من خلال ابن خلدون

7. قائمة المصادروالمراجع (للمقال وتعليقات المترجم):

المدونة:

Jadla Ibrahim. Les Fatimides et les Kutāma : une alliance stratégique ou un mal nécessaire?. In: Mélanges de l'École française de Rome. Moyen-Age, tome 115, n°1. 2003. pp. 503-512;

https://www.persee.fr/doc/mefr_1123-9883_2003_num_115_1_9302

7. 1. المصادر:

1-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997.

2-ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

3-ابن خردادبة، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1989.

4-ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، نشر: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، 2000.

5-الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، ط2، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، 1984.

6-الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1979.

7-القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975.

8-القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وآخرون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1978.

9-ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، دمشق: تح: ناجي حسن، دمشق، عالم الكتب، القاهرة، 1988.

10-المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.

11- Ibn Khaldu¯n, Histoire des berbères, trad : De Slane, 2e éd, publiée sous la direction de : Belhadj Laceb Édition Berti, Alger , 2001.

7. 2. المراجع:

- **باللغة العربية:**

12-مجاني بوبة، الاسماعيليون في بلاد المغرب العربي، دار رؤية، القاهرة، 2014.

- **باللغة الأجنبية:**

13-Dachraoui .F, Le califat fatimide au Maghreb, Société Tunisienne de Distribution, Tunis, 1981.

7. 3. المقالات في الدوريات والكتب الجماعية:

14-بوبيدي حسين، "الداعيان الشيعيان أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب، دراسة في النصوص ومقاربات حول مجال النشاط وآثاره"، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، 19(2015)، ص: 24-53.

15-بوبيدي حسين، "أسماء الأعلام والقبائل والأماكن في المجالات الكتامية من ق:3-4 هـ: دراسة في جذور التعريب من خلال النصوص المصدرية"، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، 20(2017)، ص: 110-129.

16-بوبيدي حسين، "مدخل إلى دراسة التعمير البشري في المجالات الكتامية من ق:2-8 هـ 8-14م"، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، 21(2018)، ص: 177-207.

17-بوبيدي حسين، "كتامة المنسيّة : دراسة في مقاومة المشروع الشيعي الإسماعيلي داخل المجالات الكتامية"، مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 24(2020)، ص : 8-39.

18-بوبيدي حسين، "الحراك القبلي الكتامي من ق: 3-5هـ/9-12م دراسة في الخلفيات والتداعيات"، نشر في: شهادات ودراسات مهداة إلى الدكتور عبد العزيز فيلالي، إعداد وتنسيق: حسين بوبيدي ومحمد نصير، عين مليلة/الجزائر: دار الهدى، 2022، ص: 235-264.

19-عمارة علاوة، "الفاطميون والمغرب الأوسط : التوجه الساحلي للسلالة الحاكمة وأنماط التحكم في المجالات"، ترجمة: حسين بوبيدي، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، مج3، (2021)، ص: 34-64.

8. الهوامش:

1- **المترجم:** صدر المقال في نسخته الأصلية في:

Ibrahim Jadla. « Les Fatimides et les Kutāma : une alliance stratégique ou un mal nécessaire ? », In : Mélanges de l'École française de Rome. Moyen-Age, tome 115, n°1. 2003. pp. 503-512.

رابط المقال: https://www.persee.fr/doc/mefr_1123-9883_2003_num_115_1_9302

2- **المترجم:** انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، نشر: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص: 195.

3- من أجل تفاصيل أكثر انظر:

Dachraoui. F., Le califat fatimide au Maghreb, Société Tunisienne de Distribution, Tunis, 1981, p. 57, cité n. 3.

المترجم: يدلّ النقد العميق للنصوص التاريخية التي دونها الشيعة الإسماعيلية، ثم نقلها عنهم غيرهم، أن إرسال الداعيَيْنِ: أبي سفيان والحلواني الذي نسبه القاضي النعمان إلى الإمام جعفر الصادق (ت: 148هـ/765م) ليس سوى سردية تم إنتاجها من أجل ربط المشروع الإسماعيلي بهذه الشخصية التي تُحظى بالقبول بين كثير من الفرق الإسلامية، ومن خلال متابعة أخبار الأشخاص الذين التقوا بالداعيين الشيعيين وأدوارهم في الدولة الدعوة الإسماعيلية الفاطمية يترجح أن إرسالهما إنما حدث في النصف الأول من القرن 3هـ/9م في مرحلة أئمة الستر "الداعيان الشيعيان أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب: دراسة في النصوص بسلمية. انظر في الموضوع: حسين بوبيدي، وآثاره"، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، 19(2015)، ص: 24-53. ومقاربات حول مجال النشاط

4- Ibn Khaldu¯n, Histoire des berbères, trad : De Slane, 2e éd, publiée sous la direction de : Belhadj Laceb, Édition Berti, Alger, 2001, T: I, p: 202. Cité n. 1.

5- **المترجم:** حول التحول الأنثروبونيمي (أسماء الأشخاص) في مجالات كتامة ودلالاته الدينية والمذهبية انظر: حسين بوبيدي، "أسماء الأعلام والقبائل والأماكن في المجالات الكتامية من ق:3-4 هـ: دراسة في جذور التعريب من خلال النصوص المصدرية"، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، 20(2017)، ص: 115-124.

6 - Ibn Khaldu¯n, Histoire des berbères, T : II, p. 440.

7- **المترجم:** يعبر الرأي الذي تبناه المؤلف في التأكيد على أن أغلب الكتاميين كانوا ضد دعوة أبي عبد الله الداعي، وبذلوا جهدهم في التصدي لها؛ رأيا متقدما بالنظر إلى تاريخ نشر المقال الأصلي (2003)، وقد انتشرت في أغلب البحوث التاريخية صورة كتامة الداعمة بمجموعها للمشروع الإسماعيلي، وتم تغييب الطرف المعارض، أو التهوين من أهمية موقفه، مع أنه يفسر الكثير من الحوادث التي أعقبت مقتل الداعي الصنعاني، ثم تأكدت لاحقا في التأخر عن دعم الدولة الفاطمية في صراعها مع أبي يزيد الإباضي، ثم في عودة كتامة إلى السنة منذ العهد الزيري، وهذه العودة تحتاج اشتغالا من المهتمين بتاريخ هذه المجالات القبلية، ولمتابعة أطوار المعارضة الكتامية للمشروع الذي جاء به الداعي الشيعي انظر: حسين بوبيدي، "كتامة المنسيّة: دراسة في مقاومة المشروع الشيعي الإسماعيلي داخل المجالات الكتامية"، مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 24(2020)، ص: 8-39.

8- القاضي النعمانّ، رسالة افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975، ص: 48. وحسب ابن خلدون فإن هذا الحديث إنما ذكره المهدي ذاته. انظر: . Ibn Khaldu¯n, Histoire des berbères, T: II, p : 439

9- القاضي النعمانّ، افتتاح الدعوة، ص: 53.

10- المصدر نفسه، ص: 80.

11- المصدر نفسه، ص: 79.

12- المصدر نفسه، ص: 81، 94، 95 وما بعدها

13- المصدر نفسه، ص: 84، 99.

14- المصدر نفسه، ص: 84، 90، 93، 95.

15- المصدر نفسه، ص: 81، 84.

16- المصدر نفسه، ص: 106، 107، 112، 113.

17- المصدر نفسه، ص: 103.

18- المصدر نفسه، ص: 116.

19- المصدر نفسه، ص: 121.

20- المصدر نفسه، ص: 124-125.

21- المصدر نفسه، ص: 124-125.

22- المصدر نفسه، ص: 116.

23- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، ج6، ص: 600.

24- المصدر نفسه، ج6، ص: 600.

25- المصدر نفسه، ج6، ص: 602.

26- **المترجم:** حول التجربة الكتامية في قيادة الجيوش الفاطمية، ثم تنافس هذه القبائل واستغلال الخلفاء الفاطميين لهذه الانقسامات في التجاوز التدريجي للقادة الكتاميين واستبدالهم بعبيد القصر ثم بالصنهاجيين، ثم عودتهم للعب دور كبير في سيطرة الفاطميين على مصر وحملاتهم على الشام من خلال إعادة تأهيلهم من طرف الخليفة الفاطمي الرابع: المعز لدين الله؛ انظر: علاوة عمارة، "الفاطميون والمغرب الأوسط: التوجه الساحلي للسلالة الحاكمة وأنماط التحكم في المجالات"، تر: حسين بوبيدي، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، مج3، (2021)، ص: 44-52؛ بوبة مجاني، الاسماعيليون في بلاد المغرب العربي، القاهرة، دار رؤية، 2014، ص: 160-188.

27- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، ط2، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، 1984، ج5، ص: 257.

28- المصدر نفسه، ج5، ص: 315.

29- القاضي النعمانّ، افتتاح الدعوة، ص: 227-228.

30- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص: 139-140، 149-150.

31- القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وآخرون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1978، ص: 381.

32- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، ج5، ص: 327.

33- القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، ص: 321.

34- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار، ج5، ص: 168.

المترجم: بصرف النظر عن مدى دقة الأعداد التي قدمتها المصادر حول التشريقة الكتامية، وعن كونها تمثل الكتاميين فقط أو أنها تشمل كل القبائل التي هاجرت معهم وشاركت في ضم مصر للحكم الفاطمي، فإن الخزان البشري في مجالات كتامة حافظ على قوته، بدليل الثورات التي قام بها على الزيريين، ثم التفاهمات التي عقدها معهم، ويبدو أن توسيع مدلول لفظ: كتامة ليشمل الكثير من القبائل التي انضمت للجيوش الفاطمية هو ما أدى إلى ارتفاع تعداد المهاجرين الكتاميين، كما أن الكثير من الكتاميين الذين اختاروا الهجرة إلى القيروان ورقادة سرعان ما عادوا إلى بلادهم بعد اغتيال زعيمهم ورأس دعوتهم أبي عبد الله الداعي. انظر في الموضوع: حسين بوبيدي، "مدخل إلى دراسة التعمير البشري في المجالات الكتامية من ق:2-8 هـ8-14م"، المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، 21(2018)، ص: 197-205؛ حسين بوبيدي، "الحراك القبلي الكتامي من ق: 3-5هـ/9-12م دراسة في الخلفيات والتداعيات"، نشر في: شهادات ودراسات مهداة إلى الدكتور عبد العزيز فيلالي، إعداد وتنسيق: حسين بوبيدي ومحمد نصير، عين مليلة/الجزائر: دار الهدى، 2022، ص: 251-264.

35- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص: 586؛ الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار، ج5، ص: 116، 137.

36- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار، ج5، ص: 205.

37- القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، ص: 138-139.

المترجم: أقدم النصوص التي نسبت كتامة لليمن هي: ابن الكلبي (ت: 204هـ/819م) ثم الطبري (ت: 310هـ/922م)، بينما ردّ ابن خردادبة (ت: 280هـ/893م) أصل كل البربر إلى فلسطين في سياق تبني قصة تعتبرهم أحفاد جالوت؛ ويبدو أن نسابة البربر إنما تبنوا هذا الرأي في سياق بناء سرديتهم الخاصة التي نسبت كل هذه القبائل إلى: مازيغ بن كنعان، وأدخلتها بالتالي في سلاسل النسب التوراتية التي كانت معروفة عند العرب، أما الأسباب التي دفعت إلى ذلك، فيبدو أن الأمر يتعلق بمحاولة اندماج كامل في الجنس العربي من طرف القبائل المعدودة من البرانس، والتي دعمت حركة الفتح من البداية، كما قد يكون ذلك على علاقة بالصراعات القيسية اليمنية التي ميزت مرحلة الخلافة الأموية، فقد يكون اليمنيون حاولوا كسب ودّ بعض قبائل البربر من خلال هذه السردية التي تعيد أصولهم إلى حِمْيَرَ، ومن جهة أخرى فقد يكون دمج البربر في سلسلة الأنساب العربية كان عملا مقصودا من العقل المسلم

بعد سلسلة الأحداث العنيفة التي ميزت القرن 2هـ/8م لأجل القضاء على مشكلات الاصطفاف ذات الحمولة "العرقية" رغم التمظهر المذهبي الذي ميزها (ثورات الخوارج الصفرية والإباضية)، أي أن هذا العقل تدخل في الماضي وغيره ليصلح به حاضره، وبالتالي فإن الفاطميين قد استثمروا في سردية موجودة بالفعل ووظفوها لصالحهم، وفي مرحلة لاحقة سيؤكد ابن حزم أن هذه الأنساب الحميرية مجرد أساطير تاريخية، حيث كتب: " ادّعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصلاً. ولا كان لحِمْيَر طريق إلى بلاد البربر، إلا في أكاذيب مؤرّخي اليمن". انظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج2، ص: 548؛ ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص: 91.

38- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار، ج6، ص: 168.

39- المصدر نفسه، ج5، ص: 206؛ ج6، ص: 85.

40- المصدر نفسه، ج6، ص: 167. لاحظ هنا التمييز الذي قام به الشاعر بين الكتاميين (الحميريين) وبين البربر.

41- المصدر نفسه، ج6، ص: 192.

42- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ج3، ص: 20.